الطب والعلاج خلال فترة الجهاد الليبي ضد الغزو والاحتلال الإيطالي

■ أ. أحمد عمران الحكيمي*

مقدمة :

يعتبر موضوع الطب والعلاج أثناء فترة الجهاد الليبي من الموضوعات المهمة مع العلم بأن للطب والعلاج بصفة عامة فائدة في وقت السلم والحرب كما لا يخفى عنا أن فترة الغزو الإيطالي لليبيا 1911 - 1932 م، لم تمر بسهولة بل واجه فيها الليبيون الويلات والألم خاصة بعد انسحاب تركيا بموجب معاهدة " أوشي لوزان " ،التي أبرمت بين إيطاليا وتركيا في أكتوبر 1912 م، وتركها لليبيين يواجهون مصيرهم لوحدهم في مختلف مناطق ليبيا وقفوا صامدين برغم قلة السلاح وجودته وفقدانهم للمعدات الطبية والمستشفيات المتطورة، إضافة إلى الأساليب التي نفذتها القوات الايطالية باتباع سياسة الأرض المحروقة من البشر والحيوان والنبات وإقامة الأسلاك الشائكة على امتداد الحدود الليبية المصرية من أجل تجويع الليبيين وحشرهم في معتقلات إبادة جماعية التي أسهمت بشكل كبير في إبادة عدد كبير من المعتقلين نظراً لانتشار الأوبئة وقلة الرعاية الصحية، وأمام هذا كله اعتمد الليبيون على الطب الشعبي في مداواة جرحاهم وعلاج مرضاهم، إضافة إلى مساهمة بعض بعثات الهلال والصليب الأحمر في معالجة الجرحى والمرضى خاصة في بداية الغزو الإيطالي لليبيا .

كان الغرض من وراء هذا الموضوع هو معرفة الحالات والأمراض المنتشرة التي كان يعاني منها الشعب الليبي والوسائل والطرق التي استخدمت لمعالجة تلك الأمراض، فاخترنا هذا الموضوع " الطب والعلاج في حركة الجهاد "، لما له من أهمية كبيرة لدى المجاهدين واستمرارهم في المقاومة، حيث كانت أغلب الدراسات تتجه لدراسة الأوضاع العسكرية وتركز على المعارك والقوات المشاركة فيها ونتائج تلك المعارك وتهمل الجوانب

*عضو هيئة التدريس بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة طرابلس

والقضايا الأخرى مثل التطبيب، ومصادر السلاح، والتمويل وطرق الحشد، والإمداد، ونظراً لما تمثله هذه القضايا من أهمية فقد اخترت دراسة هذا الموضوع رغم ندرة المصادر والمراجع التي تناولته بالدراسة .

دور بعثات الهلال والصليب الأحمر خلال فترة الجهاد :—

جاء دور الهلال الأحمر منذ بداية الغزو على ليبيا وعملية الإنزال الإيطالي على السواحل الليبية، فبدأت مراكز الهلال الأحمر التركي في تجنيد الأطباء من العالم الإسلامي فتوافد الأطباء إلى ليبيا، في ذات الوقت بدأت حملة لجمع التبرعات لشراء الأدوية والمعدات الطبية اللازمة وقد ظهرت استجابة من الأطباء والممرضين والصيادلة للالتحاق بجبهات الحرب في ليبيا، ولقد تمثل الدور في تقديم الإسعافات الأولية على الخطوط الأمامية وعلاج الإصابات والحوادث في مراكز المعسكرات، كما أسهمت بالعديد من الخدمات الطبية في تلك الفترة وقامت بالعديد من الفحوص الطبية والعمليات الجراحية والخدمات الوقائية والعلاجية ضد الأوبئة التي انتشرت آنذاك(2) .

وكانت جمعية الهلال الأحمر العثماني تقوم بمشروع خيري فالأطباء قائمون بالواجبات التي فرضوها على أنفسهم بإخلاص في معالجة الجرحى وتلافي النقص في الأعوان الأتراك باستخدام الأهالي ممرضين وحملة للجرحى وغير ذلك، وأشادت الصحافة التونسية بالدور الذي كانت تقوم به جمعيات الهلال والصليب الأحمر من مختلف البلدان خاصة وأنه كانت تواجهها صعوبات عدة نتيجة صعوبة الاتصال وعدم توفر الإمكانيات المادية والبشرية وقيام قوات الغزو في بعض الأحيان بقصف مستشفياتها ومقارها فقد ذكرت صحيفة الزهرة التونسية في عددها الصادر بتاريخ 6 فبراير 1912 م نقلاً عن جريدة " البتي مرسيس " مراسلة وردت إليها بتاريخ 8 يناير 1912 من مبعوثها الخصوصي بالمعسكر العثماني بفندق بن غشير (3) (مفادها أن جمعية الهلال الأحمر العثماني في مواقع القتال بطرابلس أطباؤها يقومون بواجباتهم في علاج المرضى بسرور وابتهاج وتلافي النقص في المساعدين الأتراك باستخدام الأهالي،[1] بصفة ممرضين، وحملة للجرحى وغير ذلك.

ويقول مراسل الصحيفة : لقد رأيت الحمالين الأهالي الذين يستخدمهم الطبيب عزت بك يلتقطون الجرحى وينقلونهم من ميدان القتال تحت إدارة ممرض تونسي بمنتهى الدقة والثبات والسرعة التي تشاهدها من أحسن ممرضينا، ويحمل كل واحد من أولئك المساعدين إناء فيه ماء بارد، ومخلاة بها لفائف وقطن لتضميد الجرح، وقد شاهدت

بينهم زنجيا عظيم الخلقة، فأردت أن أمازحه فقلت له أنت لا تلتقط إلا الجرحى العرب أو الأتراك فقط، ولكنه أجابني بديهياً أنا لا أفرق بين العربي والتركي والإيطالي ولا أعرف إلا الجرحى، فأحمل الجميع إلى محال المعالجة، ويوجد من بين المساعدين الأهالي نحو مائة وزعهم الأطباء على عدة أقسام تحت إدارة الممرضين بحسب ثمانية أشخاص لكل محل .

وتحت عنوان حديث صحفي قادم من ساحة الحرب ،" كتبت صحيفة الزهرة في عددها الصادر بتاريخ 14 مارس 1912 م ما نصه " أما أعمال الهلال الأحمر فباهرة في برقة وقد أصبحت مستشفيات هذه الجمعية قبلة لأهل البلاد من خلال تقديم خدماتها الإنسانية، وقد أنشأت البعثات الموجودة هناك خمسة مستشفيات مركزية في الأماكن الآتية طبرق – درنة – بنغازي – مرطوبة (مرتوبة) –المخيلية "المخيلي" ،وكلها تؤدي أعمالها بانتظام فتتناول أرزاقها ومؤنها في الأوقات المناسبة وبلغ عدد من عالجتهم نحو 700 جريح وكان بين الجرحى مؤخراً سبعة إيطاليين وكان الأطباء والممرضين يحسنون معاملتهم كثيراً [1] .

هذا وقد بعث الحكيم عزت وافي بك أحد أطباء الجيش العثماني ومقيم بباريس لجريدة الجون ترك مراسلة أشار فيها إلى أن الايطاليين طيروا بعين زارة منطادا لاستكشاف أماكن المستشفيات الحربية العثمانية ولما عرفوه أباحوا لأنفسهم رمي القنابل على مستشفى تخفق عليه راية كبيرة بها هلال أحمر وقد انفجرت ثلاث قنابل خارج ذلك المستشفى، وفرقعت قطعة حديد كبيرة بحجرة ضابط انجليزي كنت أعالجه في ذلك الوقت حسبما تشهد بذلك بقايا القنبلة التي احتفظ بها [2] .

ونحب أن ننوه هنا أن أغلب الأطباء الليبيين الذين تخرجوا في الفترة التي سبقت الغزو الإيطالي 1911 م أطباء عسكريون أي أنهم مرتبطون بواقع تعيينهم في معسكرات الجيش العثماني فغادر معظمهم البلاد بعد معاهدة أوشي لوزان بناء على أوامر الحكومة العثمانية وبعضهم آثر البقاء في مدينة طرابلس وبنغازي وغيرها خدمة للمواطنين [3].

أما الممرضون، فإن بعثات الهلال الأحمر قامت بتدريب نحو (60) شاباً من بين الشباب العربي ليكونوا مجموعات تساعد تلك البعثات في العناية بالجرحى من خلال دورات قامت بها تلك البعثات كذلك قامت بعثة الهلال الأحمر المصري، والعثماني ببنغازي بتدريب شباب على أعمال التمريض ورعاية الجرحى وعلاجهم حتى بعد عودة تلك الفرق إلى بلادها [4]. وبهذا ساهم عدد من الأطباء والممرضين الليبيين من ذوي الخبرة في

العلاج والتطبيب الشعبي بخبرتهم في تضميد جراح إخوانهم وإخراج الرصاص والشظايا من أجسامهم وتجبير كسورهم والسهر على راحتهم ،وقد تم هذا بالرغم من عدم توفر المعدات الطبية اللازمة، كما أسهم في هذا الواجب عدد من الأطباء الأتراك وجنسيات أخرى توافدت على بعثات الهلال الأحمر وفرقه ،وقد كان من بين الأطباء والممرضين الليبيين الذين كانوا يؤدون واجبهم الإنساني الطبيب الشعبي (علي أبو كريمة)"، الذي تمكن من إخراج الرصاص من بطن المجاهد (أبوشناق الغرياني) بعد فتحها كما قام بقفلها بسلك عادي ومداواة مكان الجرح بالعسل حتى شفي [5] .

دور بعثات الصليب الأحمر الألماني :

وصلت بعثة الصليب الأحمر الألماني في فبراير 1912 م واستمرت حتى يونيو 1912م وبذلك كانت هي البعثة الثانية التي دخلت ليبيا بعد الهلال الأحمر العثماني[6]وتذكر صحيفة الزهرة في عددها الصادر بتاريخ 16 مارس 1912 م نقلاً عن جريدة الطان من مراسلها بالمعسكر العثماني بالعزيزية .

"إن بعثة الصليب الأحمر الألماني يحمل أعضاؤها الهلال عوضاً عن الصليب قد غادرت العزيزية من يومين للاستقرار بغريان وستقيم مستشفياتها المتنقلة بذلك الجبل ،وقد نقلت مهمات البعثة ووزنها (48 ألف كيلو غرام على 360 جملاً و16 عربة)،ويدير البعثة الألمانية أستاذان وطبيب عسكري متقاعد، أما الممرضون فعددهم (أثني عشر) ممرضاً منهم (أربعة) طلاب من مدارس الطب بألمانيا [7] .

وقد جمعت الأموال لشراء هذه المواد عن طريق التبرعات من الشعب الألماني والشركات المتعاطفة مع الدولة العثمانية، وقد تم استئجار حوالي (300) جمل وأثني عشر عربة لنقل الأمتعة والمواد عبر طريق صعبة ومجهودات فائقة من بن قردان حيث حطت السفينة ثم براً إلى غريان ويتطلب هذا الطريق سير سبعة أيام [8]. وفي (8مارس 1912 م) وبعد شهرين من وصول البعثة الألمانية إلى مدينة غريان كان عليها أن تختار مكانا مناسبا للمستشفى فاختارت مكانا خلف المدرسة وبمساعدة السكان في عملية نصب الخيام، وخصصت حجرة من المدرسة للعمليات إلا أن عاصفة هبت ليلة (14 فبراير 1912) أقتلعت الخيام فأصبح من الضروري البحث عن مكان آخر بعيدا عن المدرسة حوالي عشر دقائق ونصبت الخيام على مساحة من الأرض بطول(145) مترا وعرض (106) أمتار .

وفي 21 فبراير بدأ المستشفى باستقبال 15 مريضا، وقد استفادت البعثة من المدرسة

استفادة كبيرة إذ وضعت فيها غرفة عمليات وجهاز التصوير الإشعاعي، ومختبر وصيدلية، ومخزن أدوية [9]، وانتهت مهمة البعثة في (6 يونيو 1912 م) وعادت إلى ألمانيا بعد تسليم مواد المستشفى إلى الهلال الأحمر العثماني وجاء في تقرير بعثة الصليب الأحمر الألماني حول طرق العلاج الشعبي، "و الطريف في الأمر هو وسائل العلاج الشعبي التي كانت محببة لدى المواطنين فالزعفران مثلاً وقد استخدمت طبخات الزعفران ضد آلام العيون" [10].

دور بعثة الهلال الأحمر المصري :

تألفت جمعية الهلال الأحمر المصري برئاسة الشيخ علي يوسف وتحت رعاية ومساعدة والده خديوي مصر حيث أرسلت بعثتها الطبية الأولى إلى بنغازي ووصلت إلى معسكرات المجاهدين عبر الصحراء بعد حوالي شهرين في فبراير(1912) [11]. وكان يترأس هذه البعثة " فريد بك " أما الأطباء العاملون فهم د. حلمي طبيب جراح، د. عفيفي ود. شكري، وبعد وصول البعثة إلى معسكرات المجاهدين في بنغازي نصبت خيامها في(2 فبراير 1912م) وقامت بعلاج (200) جريح بينهم أربعون اقتضت حالتهم إجراء عمليات جراحية عاجلة .

ويشير الصحفي " جورج ريمون"[12] أن أطباء البعثة المصرية أخبروه بأن الليبيين سرعان ما يؤثر فيهم البنج والتخدير نظراً لأنهم لا يتعاطون المشروبات الكحولية، ولهذا فإن معظمهم لم يكن يحتاج قبل إجراء أي عملية له إلا إلى حقنة لا تتجاوز كميتها (30 - 40) جراماً بل إن بعض المجاهدين يرفض بإصرار حقنة مطلقاً.

الطب والعلاج أثناء حركة الجهاد 1932-1911م:

الأوضاع الصحية في ليبيا أثناء فترة الجهاد :

المقاومة الليبية للاحتلال الإيطالي من أبرز سمات تاريخ ليبيا الحديث رغم الفرق الواضح في العدد والعتاد بين الغازي والمقاوم وذلك بفضل الاستماتة والإيمان القوي وطلب الشهادة في سبيل الله والوطن، وقوة إيطاليا الجرارة ومعداتها الفائقة لم تجد مع المجاهدين، ولذلك استخدمت الكثير من الأساليب منها تسوير المدن وفتح السجون ومد الأسلاك الشائكة مع الحدود الليبية المصرية وإقامة المعتقلات الجماعية لفصل الأهالي عن المجاهدين واتباع سياسة الأرض المحروقة مما أدى إلى تجويع الأهالي، وساءت الحالة الصحية وانتشرت الأمراض بين السكان وازدادت نسبة الوفيات بين الأطفال والنساء خاصة في معتقلات العقيلة - البريقة - المقرون - سلوق - اجدابيا -، وتعتبر

هذه المعتقلات الجماعية مكانا للإبادة نظرا لإحكام الطوق حول المعتقلين وسوء المعاملة ومصادرة المواشي في محاولة لإبادة المواطنين البدو الرحل .،

فازدادت الأمور سوءا يوما بعد يوم وفتكت المجاعة بالمعتقلين وكثر عدد الموتى يوميا من مآسي العقوبات ووصل عدد الوفيات بين الأطفال والشيوخ إلى 90 ٪ ،وانتشرت أمراض السل الرئوي والجرب والجدري والأنيميا "فقر الدم" وأمراض العيون والخنزير "السرطان" والتهاب الكلي، مما أدى بالإيطاليين إلى نقل مقر معتقل العقيلة على سبيل مثال إلى مكان آخر لشدة التعفن وقد اشتهر معتقل العقيلة عن غيره بكثرة الضحايا التي بلغت 18 ألف شهيد (13) .

وكذلك الحال في معتقل سلوق الذي به (36) ألف معتقل سكنوا (5398) خيمة تفشت به الأمراض والأوبئة مما أدى إلى هلاك أغلب سكان المعتقل وبلغت الوفيات بينهم أعلى المعدلات (14).

ورغم العدد الكبير من المعتقلات والأحوال الصحية السيئة فقد كان في معتقل سلوق طبيب واحد ولم يتم تحصين المعتقلين ضد أي وباء، وأمام هذا البلاء المحدق بالليبيين كان المجاهد الليبي يعتمد على شجاعته وإيمانه بقدسية الدين والوطن، ولم تثنه عن إتمام رسالته الجهادية المجاعة وانتشار الأوبئة التي أدت بحياة ما يقارب من (180)ألف نسمة من السكان (15).

ومن الأمراض المنتشرة في ذلك الوقت :

الضغط : وهو ارتفاع في درجة الحرارة مع العرق ،ويستمر هذا المرض مع صاحبه شهورا عديدة، ويعالج بطب شعبي عبارة عن كأس من الزعتر وشرب مرق اللحم ،ووضع غطاء كثير على الشخص المريض مع كحل العين وأكل العسل والسمن ولبس الملابس الحمراء ،ومنع النور عنه، وكذلك أمراض السل بأنواعه – الزكام – الملاريا – فقر الدم – الجذام – الجدري – أمراض الصرع – أمراض المخ – أمراض الجهاز التنفسي – أمراض العيون – أمراض الدورة الدموية وأمراض الأجهزة البولية والتناسلية وأمراض الزهري (16).

دور المرأة في المجال الصحي :

إن ما يمكن الإشارة إليه من خلال دور المرأة ما قامت به أثناء حركة الجهاد، والتي امتدت ما ينيف عن العقدين من الزمن عندما مثلت جبهة داخلية صلبة ،وقفت خلالها وراء أبيها وأخيها وزوجها ممن يذهبون إلى ساحة المعارك، فكان دورها متمثلا في رعاية

الأسرة من الناحية الصحية نظراً لانتشار الأمراض والأوبئة، إذ تقوم بدور الطبيب، لأسرتها وأسر جيرانها متخذة من نباتات البيئة الطبيعية - كالروبية والزريقة والعرعار وغيرها دواء [17]، ومن خلال جمع الأعشاب الطبيعية، وخلطها واستخدامها في علاج مختلف الأمراض والجروح والإصابات التي تصيب الناس سواء في المعركة أو في المعتقلات، فكانت تستخرج الرصاص الذي يصيب المجاهدين عن طريق عملية الكي بالنار ثم تغلي الأعشاب وتعطي للمصاب يشربها فتزول آلامه ويعود إلى ساحة المعركة، وكأن شيئا لم يصبه كما تعالج بالكي حالات الالتهابات لأن الكي يقضي على الميكروبات، وتستخدم الحلبة والبيض وجلد المعز الساخن في تجبير الكسور وتعالج آلام الكبد بشراب الخرشوف والعرعار والعسل وآلام المعدة والكلية بعشبة الأرنب أو ماء الشعير المغلي أو المنقوع، [18] وعادة ما تقوم بهذا النساء عموماً خاصة المرأة المتقدمة في السن والمرأة التي تكون على علم ودراية ومعرفة بالأعشاب ونتائج استعمالاتها على المرض ويسمونها طبيبة العيلة (العائلة)، وقد يتردد على زيارتها الكثير من المرضى الذين يحملون معهم مختلف الأمراض فتقوم بفحص المريض، ثم تقرر العلاج كالخرت - الكي أو أخذ بعض الأعشاب وشربها أو الدهان بها، وقد تمنع المريض من أكل أشياء معينة وبهذا جسدت المرأة الليبية دوراً مهماً على مستوى الجبهة الداخلية فكانت الدافع لزوجها إلى ساحة القتال وميدان الشرف .

الأدوية الشعبية ودواعي الاستعمال :

إن فترة الجهاد(1911 - 1932م) لم تمر ببساطة بل واجه فيها الليبيون الويلات خاصة بعد تخلي الدولة العثمانية عنهم وانسحابها بموجب معاهدة " أوشي لوزان " (خلال شهر أكتوبر 1912م) وتركت الليبيين يواجهون مصيرهم بمفردهم بعد أن سحبت قواتها العسكرية والطبية من كل الساحات، لكن الليبيين لم يرضخوا للعدو الإيطالي بل وقفوا صامدين رغم قلة السلاح وفقدانهم للمعدات الطبية المتطورة بالمقارنة مع المعدات الإيطالية، فاعتمدوا على الطب الشعبي في مداواة جرحاهم ومرضاهم ولم تخل الساحة الليبية من الأطباء والممرضين الذين ساهموا بخبرتهم في تضميد الجراح وإخراج الرصاص والشظايا من أجسام المصابين فكان لهم دور في الطب والعلاج والتدريب على الإسعافات الأولية مثل نقل الجرحى وإيقاف نزيفهم [19] وكان المصدر الوحيد لتزويد المجاهدون بالأدوية والأدوات الطبية هو الغنائم التي يتحصل عليها المجاهدين في بعض المعارك التي ينتصرون فيها، والتي تنقل إلى معسكرات المجاهدين الذين هم في أشد الحاجة إليها، لقد اعتمد الأهالي في علاجهم بدلا من العلاج بالطب الحديث اعتمدوا على العلاج بالطب الشعبي الذي برعوا فيه [20] .

أنواع الأدوية ودواعي الاستعمال :

لإيقاف نزيف الجرحى يستعمل ورق الجوز " اللوز " يدق ناعماً بغير ماء يحشى به الجرح أو يستعمل الصبار الأخضر بعد أن يشوى على النار ويبرد، ثم يوضع عليه قليل من السمن، وكذلك يوضع نبات الحميضة وهو نبات صغير ذا طعم حامض على موضع الجرح (21)..

كما يستخدم الشب والصبار الأخضر بعد أن يشوى على النار، وعندما يبرد يضاف إليه قليل من السمن ثم يوضع على الجرح بواسطة قطعة من الصوف أو ريشة بعد أن يكون الجرح قد نظف بالزيت ويلف الجرح بقطعة من القماش ويترك يوماً واحداً دون أن ينتفخ أو يتقيح حتى يشفى الجرح سريعاً كذلك تستخدم قشور الرمان الجاف بعد حرقه كدواء للجرح، ويستخدم الخل والعسل بعد غليهما حتى يتبخر الخل ويبقى العسل ويترك حتى يبرد ويوضع على الجرح (22) وهكذا كانت الأدوية الشعبية تحضر محلياً من نباتات وأعشاب طبيعية موجودة محلياً ومن المبادئ التي اعتمد عليها الطب الشعبي جعل الجسم يتغلب على المرض بالاستعانة بالطرق الطبيعية للعلاج يعني الشمس، الماء، الغذاء، واستعمال أقل ما يمكن من الدواء، لأن كل دواء عبارة عن مواد كيميائية قد تحدث مضاعفات في الجسم واستعمال أبسط الأدوية مثل الزيت، العسل والنباتات البرية (23) .

الزيت يستخدمه المجاهدون كعلاج للجروح حيث يوضع على الجرح بواسطة قطعة قماش كما يمكن بواسطة الزيت استخراج الرصاص والشظايا من المصاب كما كانوا يغمرون كرة من السلك في الزيت ثم يدفعونها داخل الجرح لتنظيفه (24).

وكما استخدم المجاهدون مسحوق الحلبة مع خلطه بالسمن أو الزيت في تضميد الجروح أو رش مسحوق الحنة على الجرح مما يؤدي إلى الشفاء والتئام الجرح بسرعة وبصورة جيدة (2)، وحيث إن الجروح أكثر مكان يألم لمجاهدين لذلك استعملوا لها أكثر من نوع من الأدوية مثل القطران - مسحوق البارود المستخرج من الرصاص، ومسحوق صمغ شجرة الصنوبر، ومسحوق السكر بخلطه بالسمن ويوضع على مكان الجرح (25)، وكانت عملية العناية بالجرحى من الأمور المهمة فعند إصابة أحد المجاهدين يتم نقله عن طريق رفاقه إلى الخلف أو إلى خيمة خاصة بالجرحى، وبعد نهاية المعركة تتم العناية به فيقوم أحد رفاقه بعلاجه أو ينقل إلى ذويه لعلاجه بالطرق الشعبية، فالوسائل والأساليب التي اتبعت أثناء فترة الجهاد لعلاج الجرحى هي أساليب بدائية بسيطة في محاولة من الاهالي لسد النقص من المعدات والأدوات الطبية الحديثة، ومن الأساليب التي اتبعت في تلك الفترة والتي كانت سائدة في معالجة الجرحى إبان فترة الجهاد هي :

■ **الفتائل** وهي عبارة عن قطعة من القماش النظيف توضع بإناء به زيت ثم يمرر داخل مسار الرصاصة بالجسم، وهذا يستعمل لتنظيف الجرح من الداخل، ولكي لا تتكون مادة قد تؤثر على صحة الجريح، وبالتالي يتم تطهيره ويساعد على سرعة التئامه [26] .

■ **التقنديل**: يتم بعد عملية تطهير الجرح، وذلك بكي الجرح بالنار بواسطة أداة حديدية أو غلي الزيت أو الشحم أو القطران وصبها على الجرح للتطهير، وعادة ما يقوم بهذه المهمة كبار السن ولأنهم يعتقدون أن النار عدوة الجرح وأنها دواء لكل داء [27] .

■ **الكي** : وهو وضع قضيب من الحديد أو مسمار في النار حتى يحمي بدرجة عالية عند ذلك يقوم الطبيب الشعبي بوضعه على جسم المريض عند موضع الألم، كما يعالج بالكي حالات فقدان الذاكرة، حيث يوضع عكوز موس في النار حتى يسخن ثم يوضع على مكان يحدده المعالج[28]، ولقد لجأ الليبيون إلى العلاج بالكي لمعالجة العديد من الأمراض والعلل التي يعانون منها وذلك لما اقتضته الظروف البيئية والاجتماعية لأسباب عديدة منها، عدم توفر الطب الحديث والأطباء المتخصصين في هذه المناطق لبعدها الجغرافي عن المدن الرئيسية، إضافة إلى الاعتقاد السائد أن الكي هو أحسن دواء وسهل الإجراء وقليل التكاليف ومتوفر في كل مكان، حيث يقوم المتطبب العربي بإجراء الكي بطريقة بسيطة تتمثل في كشف الجزء المصاب لدى المريض، والذي يقرر الطبيب الشعبي كيه بالنار ثم يقوم بوضع علامة على مركز المكان ثم يتناول آلة الكي التى قد احمرت من موقد النار ويضعها على العلامة السابقة، ويضغط بضع ثواني حتى يسمع صوت احتراق الجلد، ثم يصف له مرهما ليدهن به يومياً على موضع الكي وبالنسبة لأنواع آلات الكي فهي عديدة منها ما هو حجم إبرة وعلى شكل مسمار ومختلف أشكال السيخ وعيدان الحديد الطويلة أو المسطحة ومن الأمراض التي يستعمل فيها الكي كعلاج الصداع الشقيقة – ألم الأسنان – الزوائد الأنفية – الألم بين الضلوع – انتفاخ الرئة[29].

■ **الخرت** : إذا كان الكسر في الظهر فالدواء هنا يسمى بالخرت، وهو إجراء سلك تحت الجلد عند مكان الألم والإصابة وعادة ما يقوم بعدد من الخرز أو عدد من الخرتات في جسم المريض ثم يربط السلك، من الطرفين ويترك السلك تحت الجلد لمدة أسبوع أو أكثر ويطلب من المريض شم رائحة الشواء بعد هذه العملية مباشرة لتفادي الانتفاخ أو زيادة الألم مع دهن الخرت بدواء يوصف له عدة أيام حتى تشفى الخرتة[30] .

■ **التحجيم** : يستعمل الأهالي هذا الأسلوب في مداواة ومعالجة ما يسمونه الآن (ضغط الدم) اعتقادا منهم أن هناك دماً فاسداً ويجب التخلص منه وإزالته بذلك عند شعورهم بالألم في الرأس وبين الكتفين أو التقلص العضلي وهو ما يطلقون عليه اللحمة

ومن الوسائل والأدوات المستخدمة، زجاجة صغيرة متوسطة الحجم، وكاز (كيروسين) وكبريت وقليل من الرمل، ملح، سكين أو مشرط ويعمل الشخص المعالج على إحداث جرح بسيط في مواضع محددة من جسم المريض حتى يسيل الدم، عندها يضع قطعة ورق مشتعلة داخل الزجاجة، ويضعها مباشرة على الجرح فتعمل الزجاجة من خلال الضغط بداخلها على امتصاص الدم وجذبه إلى داخل الزجاجة وتكرر هذه العملية عدة مرات [31].

■ **التجبير أو شد الكسور** : وهي شبيهة إلى حد كبير بعملية تجبيس العظام التي تجري حديثا، ولأجل ذلك يجهز الطبيب الشعبي قطعة من الخشب حسب مكان الكسر وعمر المريض ويربط العظم المكسور على الجبيرة بواسطة قطعة قماش أو جلد شاه طري لهذا الجلد خاصية الانكماش والتقليص التدريجي كل يوم وبذلك يضغط على طرفي الكسر ويساعد على الالتحام، كما تضاف قطعة من جريد النخل والسعف إلى الجبيرة لملء الفرغات، وغالباً تترك هذه حسب عمر المصاب، وفي معظم الأحوال فإن الكسور تلتئم ويشفى المريض، ولكن كثيراً ما تلتئم العظام بشكل معوج[32]، وعادة مايستعمل التجبير في حالة كسر اليد أو الساق وينصح المريض المكسور بتناول دقيق القصب، وبهذا فقد عرف الليبيون الحمية وأهميتها وينصح المريض بالكف عن تناول الطعام العادي والالتزام بطعام خاص محدد، كما أنهم عرفوا أهمية حجر المريض المصاب بمرض ساري وعزله حتى لا ينتقل مرضه إلى الآخرين .

الأطباء الشعبيون والأدوات المستعملة :

لقد كان من بين الأطباء والممرضين الليبيين الذين كانوا يؤدون واجبهم الإنساني وهم من ذوي الخبرة في العلاج والتطبيب الشعبي وساهموا في تضميد جراح إخوانهم وإخراج الرصاص والشظايا من أجسامهم وتجبير كسورهم والسهر على راحتهم قاموا بكل ذلك رغم عدم توفر المعدات الطبية اللازمة نذكر منهم بشير البرعصي— محمد بونغرش الزوي ومحمد كشلوط الحداد طبيب (ترهونة) وحسين محمد الحداد، حسن المغربي، عبد الحفيظ الوشق، عمر الطيب السعفي (الجميل)، الحاج حسين (صبراته)، عمر الطيب العباسي، السعداوي بن نصر، ناجي خليفة (الصابرية)، أحمد بن يحيي (مصراته)، علي الأصفر (الزنتان)، محمد صالح أبو زويدة وعلي أبو كريمة [33]كذلك لابد من الإشارة إلى الطبيب علي الريحاني من مسلاته والحاج عبد السلام الأحمر والجراح صالح الزروق الغرياني المتوفي بتونس وعمر أبو صاري (المشايشة) والشيخ سعود بن فهيد من قبيلة أولاد سعود والأسطى الأمين الغدامسي وعلى الحسوني (ابويرات الحسون) وقد تعلم ذلك من والده وكان يتتبع المجاهدين أثناء القتال[34].

وأيضاً محمد بادي الشريف الذي رافق المجاهدين في مصراته حيث يقول : وجدت حجرة مغلقة بالمبنى المقابل لغرفة الحمام (مركز الشرطة خلال سبعينات القرن العشرين) ووجدت بها أدوية من مخلفات الإيطاليين بعد هزيمتهم في القرضابية وانسحابهم من المناطق التي كانوا قد احتلوها قبل عام 1915 م وشجعني وجود تلك الأدوية والمعدات على فتح مستشفى صغير في غرفة الحمام المذكورة لعلاج الجنود والأهالي كما أوفدت بعض الأصدقاء إلى طرابلس لإحضار النواقص من الأدوية والقطن الطبي والأربطة وغيرها وصرت أعالج كل من يحتاج إلى علاج وعندما أنزلت إيطاليا قواتها بقصر أحمر وتصدى لها المجاهدون أصيب كثير منهم بجروح فصرت أعالج الجرحي ولكثرتهم عملت على نقل المستشفى جهة أولاد أبو شعالة بمدرسة قديمة من عهد الأتراك بجوار زاوية المدينة، وصرت أنتقل بين الملايطة والمدينة أعالج الجرحى قبل نقلهم إلى المستشفى ثم أحضر ليلاً لعلاجهم بالمستشفى وكان يساعدني في المستشفى الأمين الغدامسي والحاج رمضان العماري وعمر المصراتي[35] ويقال أن الطبيب الأمين الغدامسي كان يعالج في منطقة مصراتة أثناء فترة الجهاد بخياطة الجروح باستخدام النمل ذات الحجم الكبير حيث يأخذ النملة ويضعها على جانبي الجرح بعد شده فتعض الجانبين من اللحم فيقوم بقطع جزئها الخلفي فتموت النملة وهي ماسكة الجرح وتبقى إلى حين التئام الجرح [36]كما تمكن الطبيب الشعبي علي أبو كريمة العوامي من إخراج الرصاص من بطن المجاهد أبو شناق الغرياني بعد فتحها كما قام بقفلها بسلك عادي ومداواة مكان الخياطة بالعسل حتى شفى [37].

وتذكر صحيفة الزهرة في عددها الصادر يوم 27 يونيو 1912 م أن البدو شديدو البسالة وإذا جرح يسرع إلى تضميد الجروح بكيفية بسيطة أما إذا أصيب بجروح بليغة فإنه يستسلم للمعالجة على أمل أن يشفى ويعود إلى ميدان القتال ليأخذ بثأر دمه [38].

أما الأدوات البدائية البسيطة والمستعملة في مختلف العلاجات فهي مسمار من الحديد له سن مدببة يعرف بالدليل يستخدم لاستخراج الرصاص وإبرة زجاجية تستخدم لتنظيف الجرح ومكان الرصاص وكذلك استخدام ريش الطيور لتنظيف الجروح .

في الختام نستنتج من هذه الدراسة البسيطة المعاناة التي عاشها الليبيون إبان فترة الاحتلال الإيطالي من حشر في معتقلات وإبادة جماعية في مناطق قاحلة تنعدم فيها مقومات الحياة قصد إبادة الجزء الأكبر من الليبيين إضافة إلى اتباع سياسة الأرض المحروقة لتحل المجاعة وتنتشر الأمراض والأوبئة ناهيك عن انعدام الرعاية الصحية ضد الأمراض والأوبئة المنتشرة آنذاك إلا أن كل ذلك لم يزعزع إيمان الليبيين بدينهم وقدسية وطنهم الأمر الذي فرض عليهم تحمل كل هذه الويلات والأهوال من أجل تحرير بلادهم

وأجبرتهم الظروف على التعامل مع الطبيعة التي كانت حاضنة للمجاهدين الذين اضطروا لأكل أعشابها كغذاء وأستخلص البعض الآخر من أعشابها ونباتاتها دواء وأمصالا لعلاج جرحاهم ومرضاهم كما أشارت إلى ذلك كل الوثائق التاريخية فبرز منهم متخصصون في الطب الشعبي كان لهم دور كبير في معالجة إخوانهم الجرحى في ساحات الوغي والمرضى في مناطق البلاد غير منتظرين إلا جزاء الله وتحرير الوطن .

وخلاصة البحث أن الشعب الليبي تحمل ويلات الاستعمار الغازي الدي كان أقسى إستعمار في المنطقة العربية خلف الدمار والجهل وأتبع سياسات لم يتبعها المستعمرون الاخرون في المنطقة العربية كالتهجر والتفني، والمعتقلات الجماعية واتباع سياسة الارض المحروقة لتجويع الليبيين الذين تعاملوا مع الطبيعة وماتنتجه من أعشاب سواء في أكلهم أو علاج جرحاهم كما برز البحث أن الليبيين كانوا يقاتلون العدو بشراسة دفاعا عن دينهم ووطنهم فالوطن لديهم له قدسية دفعوا من أجله أغلب شبابهم سطروا بذلك ملحمة جهادية تعد مفخره لنا وللاجيال القادمة

الهوامش

1 .محمد صالح الجابري، مرجع سابق، ص213.

2 .محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص37-36.

3 .بشير محمد رمضان، القيادة والإمداد في حركة الجهاد الليبي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999، ص 314.

4 .عبد الكريم عمر أبوشويرب، أعلام ومعالم من تاريخ الطب في ليبيا، الجمعية الليبية لتاريخ العلوم الطبية، 1999، ص314 .

5 . بشير محمد رمضان، المرجع السابق، ص311 .

6 .عماد الدين غانم، البعثة الألمانية إلى ليبيا 1912 ومشفاها في غريان، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001، ص33.

7 .محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 279، 280.

8 .عماد الدين غانم، البعثة الألمانية إلى ليبيا، المرجع السابق، ص 35 .

9 .المرجع السابق ،ص25

10 .عبد الكريم عمر أبو شويرب، أعلام ومعالم من تاريخ الطب في ليبيا، المصدر السابق، ص29.

11 .حسن صبحي، مذكرات في تاريخ شمال إفريقيا الحديث والمعاصر، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1973، ص 178 .

12 .حسن صبحي، مذكرات في تاريخ شمال إفريقيا الحديث والمعاصر، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1973، ص 178 .

13 .يوسف سالم البرغثي، المعتقلات الفاشستية بليبيا، دراسة تاريخية، مراجعة صلاح الدين السوري، مركز

دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1985 م، ص84 .

14 . المرجع السابق، ص 91.

15 .موسوعة روايات الجهاد عدد خاص المرأة في الجهاد، إعداد زينب محمد زهري، مركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1995 م، ص 172 .

16 .عبد الكريم أبو شويرب، بعثات ونشاط الهلال الأحمر التركي خلال الحرب الليبية الإيطالية، مجلة الإخاء، العدد 2 . 1987 م، ص122.

17 . موسوعة روايات الجهاد، ج 37، المصدر السابق ص47-44 .

18 .جميلة الحراري، المرأة والجهاد في ليبيا، مجلة الشهيد، العددان 15، 14، 1993، ص 92، 91.

19 .عبد الرحمن عمر البريكي، ص145-141.

20 .محمد امحمد الطوير، العلاج والطب الشعبي في حركة الجهاد، الإخاء، ع العاشر، 1985، ص85 .

21 محاضرات الموسم الثقافي العاشر 1988 - 1989 م، وإعداد ليلى محمد أبو رقية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1998 م ص314 .

22 .محمد امحمد الطوير، العوامل المساعدة في حركة الجهاد، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي ج2، إعداد : مجموعة من الاساتذة والباحثين، اشراف : صلاح الدين حسن السوري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988، ص388.

23 .محمد امحمد الطوير، المرجع السابق، 389 .

24 .عبد الكريم عمر أبو شويرب، الطب الشعبي خلال فترة الجهاد، المرجع السابق، ص155 .

25 .عبد الرحمن عمر البريكي، المرجع السابق، ص153.

26 .محمد امحمد الطوير، المرجع السابق، ص86، 87 وأيضاً شريط رقم 2/102 المكتبة الصوتية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس .

27 .عبد الكريم أبوشويرب، المصدر السابق، ص 299.

28 .موسوعة روايات الجهاد، إعداد خليفة محمد الدويبي، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس المصدر السابق، ص299.

29 .عبد الحكيم حكمت، الطب الشعبي في ليبيا، صور للطب والأطباء في النصف الثاني من القرن التاسع، عشر ترجمة عبد الكريم أبو شويرب، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1989، ص88 - 90 .

30 بشير محمد رمضان، المرجع السابق ،ص305 ومحمد امحمد الطوير، المرجع السابق، ص338.

31 عبد الرحمن عمر البريكي، المرجع السابق، ص152 .

32 عبد الحكيم حكمت، المصدر السابق، ص156.

33 عبد الكريم عمر أبو شويرب، أعلام ومعالم المصدر السابق، ص66.

34 عبد الكريم عمر أبو شويرب، الطب الشعبي خلال فترة الجهاد المصدر السابق، ص 158، 159.

35 حسن علي خشيم، صفحات من جهادنا الوطني، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ط2، 1974، ص91.

36 بشير محمد رمضان المصدر السابق، ص314 وكذلك عبدالرحمن عمر البريكي، المرجع السابق، ص153 .

37 المرجع السابق ص311.

38 محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ج2، ص405 .

قائمة المصادر والمراجع:

1 - عبدالرحمن عمر البريكي، الطب الشعبي ودور البعثات الطبية خلال فترة الجهاد، مجلة الشهيد،ع.10، 1989

2 - عبد الكريم ابوشويرب، بعثات ونشاط الهلال الأحمر التركي خلال الحرب الليبية الإيطالية ،مجلة الاخاد،ع.7، 1987

3 - محمد صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية ،22الدار العربية لكتاب طرابلس،1982

4 - بشير محمد رمضان ،القيادة والإمداد في حركة الجهاد الليبي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طرابلس،1999

-5عماد الدين غانم ،البعثة الالمانية إلى ليبيا 1912ومشفاها في غريان ،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طربلس2001م

-6عبد الكريم عمر ابوشويرب ، أعلام ومعالم من تاريخ الطب في ليبيا، الجمعية الليبية لتاريخ العلوم الطبية،1999م

7 - حسين صبحي ،مذكرات في تاريخ شمال افريقيا الحديث والمعاصر ،مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية 1973

-8جورج ريمون، من داخل معسكرات الجهاد، ترجمة وتقديم د.محمد محمد عبد الكريم الوافي، دار الفرجاني ،طرابلس

9 - يوسف سالم البرغثي، المعتقلات الغانية بليبيا، دراسة تاريخية ،مراجعة، صلاح الدين السوري ،مركز دراسة جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي ،طرابلس ،1985

10 - موسوعة روايات الجهاد ،عدد خاص بالمرأة في الجهاد، إعداد زينب محمد زهري ومركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،1995

11 - جميلة الحراري، المرأة والجهاد في ليبيا، مجلة الشهيد ،العددان 14-15، 1993م

12 - محمد امحمد الطوير ،العلاج والطب الشعبي في حركة الجهاد، الإخاء العدد العاشر،1985م

13 - محاضرات الموسم الثقافي العاشر 1988 - 1989م ، إعداد ليلى محمد أبورقية مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طربلس،1998م

14 - محمد امحمد الطوير، العوامل المساعدة في حركة الجهاد ،بحوث ودراسات في التاريخ الليبي ،28، إعداد مجموعة من الاساتذه والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس ،1988م

15 - موسوعة روايات الجهاد ، إعداد خليفة محمد الدويبي،مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي .

16 - عبد الحكيم حكمت، الطب الشعبي في ليبيا، صور للطب والأطباء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ترجمة عبد الكريم أبوشويرب ،مركز دراسات جهاد الليبيين ،طرابلس 1989

17 - حسن علي خشيم ،صفحات من الجهاد الوطني ،دار مكتبة الفكر ،طرابلس ط1974،2